- ٦ -

كـان على «مـاني» أن يصبر ويصـابر، أن يصـبر طويـلاً، بعد انقضـاء أعوام مراهقته بكثير. وبحسب الحديث الذي حفظته كتابات التلاميذ فإنـه لم يتلقَّ إلاّ في الرابعة والعشرين، «من شفتيْ تَوْأمه»، الكلمات التي طالما أمـل في سماعهـا: «ها قد أزفت الساعة لكي تتجلّى لعيون العالم. وتترك بستان النخيل هذا».

وإذا كـان قد تلبّث عـلى هذا النحـو بقرب «أصحـاب الملابس البيضـاء» في حين كان يرفض ممارساتهم ومعتقداتهم ويتألّم كل يوم لاضطراره إلى مخـالطتهم، فربما لأن رغبته في الرحيل كانت مصحـوبة بخشيـة يستحيل البَـوْح بها. وكيف كان في وسعه، هو الذي عاش فتوّته بأسرها في عالم الطائفة المُغْلَق، عالم القمع والحماية الذي يشيخ فيه المرء ويخشن طبعه من غير أن ينضج حقّاً، العالم الهزيل الحذِر المنطوي على وساوسه، الجاهـل في نهاية المـطاف لكل مـا يمكن أن يحدث خلف جدار سياجه الصغير، كيف كان في وسعه أن ينظر بخفّة إلى المواجهة مع الدنيا؟.

لقد ترك إذن الأيام والأسابيع المتشابهـة كلّها، الكثيبـة كلّها، الثقيلة كلّهـا، تركها تمضي. حتى كان ذلك الصباح من نيسان (ابريل)، صبـاح الخلاص ذاك الذي بدأ بذهابه بعد الاستيقاظ من النوم لغسل وجهه في ميـاه ترعـة «دجلة».